

IHSAN (EXCELLENCE) IN THE HOLY QUR'AN AND ITS APPLICATION IN UNIVERSITY EDUCATION QUALITY: TOWARD A QUR'ANIC VISION FOR ACADEMIC PERFORMANCE

Assist. Prof. Dt. Ahmed Waheed Bardi

University of Baghdad, College of Islamic Sciences

ahmed.jassem@cois.uobaghdad.edu.iq

+964 790 258 9417

Abstract

The concept of Ihsan (benevolence/excellence) holds a central place within the Quranic ethical framework. The Holy Qur'an emphasizes its integration into individual and collective conduct, repeatedly linking it to faith, deeds, and interpersonal relations. In light of the current challenges facing higher education—such as declining academic commitment, weak professional affiliation, and the urgent need to improve faculty performance—this study explores how the Qur'anic principle of Ihsan can be applied to enhance the quality of university education and provide a Qur'an-based vision for academic performance. The research aims to achieve this by analyzing Quranic texts that mention Ihsan, extracting their educational implications, and projecting them onto the academic environment, using the analytical and inferential methodology. The study finds that Ihsan is not merely a moral virtue but serves as a practical framework for professional excellence, discipline, self-development, and high-quality academic output. In conclusion, the study proposes a preliminary model termed "Academic Ihsan" as a tool for improving quality standards, accompanied by recommendations for integrating this value into university policy and professional development programs.

Keywords: Ihsan – Qur'an – Quality Education – Academic Performance – University Teaching.

Introduction

الإحسان في القرآن الكريم وتوظيفه في جودة التعليم الجامعي نحو رؤية قرآنية
للأداء الأكاديمي

أ.م. د. أحمد وحيد بردي

جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية

الملخص :

يُعدّ مفهوم الإحسان من القيم المركزية في البنية القرآنية الأخلاقية، وقد حضّ القرآن الكريم على ترسيخه في سلوك الفرد والمجتمع، وتكررت الإشارة إليه في مواضع متعددة تتصل بالإيمان والعمل والعلاقات الإنسانية. وفي ظل التحديات التي تواجه التعليم الجامعي اليوم من تراجع في الالتزام الأكاديمي، وضعف الانتماء المهني، والحاجة إلى تطوير أداء الأستاذ الجامعي، تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على توظيف مفهوم الإحسان في القرآن الكريم كمدخل نوعي لتجويد التعليم الجامعي، وتقديم رؤية قرآنية تُعزز الأداء الأكاديمي. وسعى البحث إلى تحقيق هذا الهدف من خلال تحليل النصوص القرآنية ذات الصلة بمفهوم الإحسان، واستنباط دلالاتها التربوية، ثم إسقاطها على واقع التعليم الجامعي، وذلك باستخدام المنهج التحليلي الاستنباطي. وقد توصل البحث إلى أن الإحسان لا يقتصر على البعد الأخلاقي، بل يُشكّل إطارًا عمليًا لإتقان العمل، والانضباط، والتطوير الذاتي، ورفع مستوى الأداء المهني في التعليم العالي. وفي خاتمة الدراسة، تم تقديم نموذج أولي لما يمكن تسميته بـ "الإحسان الأكاديمي" كأداة لضبط معايير الجودة، مع توصيات لتعزيز هذا المفهوم في السياسات الجامعية وبرامج التأهيل الأكاديمي.

الكلمات المفتاحية: الإحسان – القرآن الكريم – جودة التعليم – الأداء الأكاديمي – التعليم الجامعي

المقدمة

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وجعل الإحسان سبيلاً للتقوى، ووسمة لأهل الإيمان، والصلاة والسلام على خير من أحسن في القول والعمل، المعلم الأول، والقُدوة الأكمل، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين. أما بعد،

فإنّ القرآن الكريم ليس كتاب عبادة وشعائر فحسب، بل هو في جوهره كتاب بناء حضاري ومنظومة قيمية متكاملة، ترسم للإنسان طريق الفلاح في الدنيا والآخرة. ومن أعظم القيم التي اعتنى بها هذا الكتاب العظيم: قيمة الإحسان، التي جاءت في سياقات متعددة تجمع بين صفاء الإيمان، ونبل المعاملة، وجودة الأداء، وإتقان العمل. وإذا كان الإحسان في حقيقته "أن تعبد الله كأنك تراه"، فإن إسقاط هذا المعنى على ميادين العمل الإنساني، ومنها سياق التعليم الجامعي، يمنح العملية الأكاديمية بعداً روحياً وقيماً يعيد لها وجهها الرسالي المنشود.

وتتجلى أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى الربط بين القيم القرآنية والممارسات المؤسسية، من خلال استجلاء دلالة الإحسان في النص القرآني، وتفعيلها كإطار معياري لتحسين جودة التعليم الجامعي، الذي يشهد في العقود الأخيرة تحديات على

صعيد الأداء الأكاديمي، والالتزام المهني، والانتماء المؤسسي. فالتعليم العالي لا يكتفي اليوم بمخرجات معرفية، بل يتطلب جودة في الوسائل، واتساقاً في المعايير، وضميراً حياً في التنفيذ، وهو ما يمكن أن يسهم فيه مبدأ الإحسان. ينطلق هذا البحث من إشكالية مركزية مفادها: كيف يمكن توظيف مفهوم الإحسان القرآني في بناء رؤية معيارية لتجويد الأداء الأكاديمي في الجامعات المعاصرة؟ وتتفرع من هذه الإشكالية عدة أسئلة فرعية، منها:

- ما هي الأبعاد المفاهيمية والتربوية لمصطلح الإحسان في القرآن الكريم؟
 - كيف يسهم الإحسان في تشكيل منظومة سلوكية إيجابية داخل البيئة الجامعية؟
 - ما إمكانية بناء نموذج أكاديمي تطبيقي مستمد من القيم القرآنية، وعلى رأسها الإحسان؟
 - كيف يُفعّل الإحسان في أداء الأستاذ الجامعي من حيث الإلتقان، والعدل، والتطوير؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات، يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:
 - تحليل مفهوم الإحسان في ضوء النصوص القرآنية ودلالاتها اللغوية والسياقية.
 - إبراز الأثر التربوي والقيمي للإحسان في تكوين الشخصية العلمية والعملية.
 - اقتراح آليات عملية لتفعيل مبدأ الإحسان في الممارسات التعليمية الجامعية.
 - تقديم إطار معياري قرآني يُعتمد في تقييم الأداء الأكاديمي.
- وسيُعتمد الباحث في هذا العمل على المنهج التحليلي الاستنباطي، من خلال دراسة الآيات القرآنية المتعلقة بالإحسان، وتحليل السياقات التي وردت فيها، ثم استنباط المقاصد العامة، وربطها بالواقع الأكاديمي، وتقديم نموذج تصوري لتطبيقها في ميدان التعليم الجامعي.
- ويُختتم هذا التمهيد بالتأكيد على أن هذا البحث لا يهدف إلى تنظير مجرد، بل يسعى لتقديم رؤية قرآنية عملية يمكن إدماجها في السياسات الجامعية وبرامج تأهيل الكوادر التدريسية، إيماناً بأن الإصلاح الأكاديمي يبدأ من إحياء الضمير القيمي، وأن الإحسان هو بوابة الجودة الحقيقية، لأنه يربط بين العمل الظاهر والمراقبة الباطنة.

المبحث الأول: الإحسان في القرآن الكريم – المفهوم والوظيفة التربوية**المطلب الأول: دلالة الإحسان في السياق القرآني**

يحظى مفهوم الإحسان بمكانة بارزة في البنية المفاهيمية للقرآن الكريم، بوصفه أحد المفاتيح الكبرى لفهم النسق الأخلاقي في الإسلام، ومن أكثر القيم تكراراً وتنوعاً في سياقاتها النصية. وقد وردت مادة "حَسَنَ" ومشتقاتها في مواضع متعددة من القرآن الكريم، حملت دلالات متباينة من حيث السياق، لكنها تتقاطع جميعاً في تمجيد هذا المفهوم ورفعته إلى مرتبة عليا في سلم القيم الإسلامية. والملاحظ أن "الإحسان" لم يُذكر في القرآن الكريم كخلق تطوعي أو ترف أخلاقي، بل كقيمة تكليفية مقرونة بأمرٍ إلهي مباشر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾⁽¹⁾ حيث جاء الإحسان في نسق تكليفي صريح، إلى جانب العدل، مما يدل على أنه معيار يُقاس به السلوك، لا مجرد خلق فردي. وقد ذكر السيد الطباطبائي في تفسيره "الميزان" أن الإحسان يتضمن دلالة على فعل الجميل مع خلو النفس من المنّ والأذى، وأنه مقام أعلى من العدل، لأن العدل يقتضي إعطاء الحق، بينما الإحسان يقتضي العطاء ابتداءً وبغير استحقاق، وهو من كمالات النفس الإنسانية⁽²⁾.

وتتعدد اشتقاقات الإحسان في النص القرآني بين أفعال وأسماء، مثل: "أحسن"، و"حَسَنَ"، و"الحسنَى"، و"محسن"، وكلها تدور حول دلالة واحدة تجمع بين الجمال الظاهري والباطني، وحُسن الفعل والمآل. وهذه الاشتقاقات لا تقتصر على الميدان السلوكي، بل تمتد لتشمل العقيدة والعمل والمعاملة. وقد بلغ عدد المواضع التي وردت فيها مادة (ح-س-ن) ومشتقاتها أكثر من مئة وتسعين موضعاً، منها ما يتصل ببيان مراتب الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽³⁾ ومنها ما يتصل بالمعاملة الاجتماعية والاقتصادية، كما في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾⁽⁴⁾ ولا يخفى أن هذا التكرار يؤسس لحضور كثيف للمفهوم في الوعي الإسلامي، مما يجعل الإحسان ركيزة في تصور الإنسان القرآني.

(1) سورة النحل: 90.

(2) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج12،

ص351

(3) سورة العنكبوت: 69

(4) سورة البقرة: 83

ويمكننا من خلال تتبع السياقات القرآنية أن نصنف الإحسان إلى ثلاثة أنواع متكاملة، تشكل في مجموعها البناء القيمي المتكامل للفرد والمجتمع. أول هذه الأنواع: الإحسان إلى النفس، والذي يظهر في سياقات التزكية وتطهير الباطن، وهو ما يتضمن الإخلاص، وصدق النية، والاجتهاد في الطاعة، ومجاهدة الهوى، ويعبر عنه القرآن ضمناً في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ (5) إذ إن الإتيان بالحسنة لا ينفك عن الإحسان الذاتي الذي يسبق الفعل. والنوع الثاني: الإحسان إلى الآخرين، وقد ورد في صور متعددة، أبرزها برّ الوالدين، والإحسان إلى الجار، وإلى الفقراء والمساكين، والمقصود به تجاوز حدود الواجب إلى فضاء الفضل، وهو ما أشار إليه السيد عبد الأعلى السبزواري في تفسيره "مواهب الرحمن" بأن الإحسان في هذه السياقات لا يُقصد به الأداء المادي فقط، بل يشمل الكلمة الطيبة، والسلوك الكريم، والنية الخالصة، (6) أما النوع الثالث، فهو الإحسان في العمل، والذي يشكل المقابل الموضوعي للإتقان في المنظور المهني، وقد ورد في سياقات تدل على أن الله تعالى يحب المتقنين، كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (7) وهي محبة ترتبط بمقام المراقبة، لا بمحصلة النتائج فقط. وفي سياق مقارنة الإحسان بالعدل والإتقان، يبرز الفرق في الأفق القيمي والعملي لكل مفهوم. فالعدل هو القسط الذي يُقام به الميزان ويُحفظ به الحق، بينما الإتقان هو إتمام العمل وضبط جوانبه وفقاً للمعايير الموضوعية، أما الإحسان، فيعلو عليهما لكونه يحوي أبعادهما ويزيد عليهما بالنية، والفضل، والجانب الروحي. فالعادل يعطي الآخر ما يستحقه، أما المحسن فيعطيه فوق استحقاقه، أو يعفو عنه، أو يتجاوز عنه في حال التقصير. والإتقان يقتضي المهنية، أما الإحسان فيقتضي الإخلاص والمراقبة إلى جانب الإتقان. وقد علّق السيد كمال الحيدري في محاضراته حول "الفكر القيمي في القرآن الكريم" بأن الإحسان يمثل خلاصة الفعل المؤسس على المعرفة، والمتجاوز للواجب، وهو الذي يربط بين الدين والتزكية والأداء الاجتماعي (8).

وهكذا، يظهر من خلال هذا المطلب أن الإحسان ليس مفردة لغوية عابرة، بل منظومة شاملة تجمع بين الجمال، والعدل، والفضل، وتعدّ من أهم المفاهيم المؤسسة

(5) النمل: 89

(6) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، مؤسسة المرتضى، ط1، ج4، ص125

(7) سورة البقرة: 195

(8) دروس في المنهج القرآني، السيد كمال الحيدري، مكتبة الفكر الإسلامي، ط1، 2021، ص63

للأداء الأكاديمي إذا ما تم استلهاها بمنهج علمي وتربوي من النص القرآني. ويُمهد هذا التحليل للانتقال إلى استكشاف الأبعاد التربوية العميقة لهذا المفهوم في المطلب التالي.

المطلب الثاني: الأبعاد التربوية لمفهوم الإحسان

تُمثل قيمة الإحسان إحدى الدعائم الكبرى في البناء التربوي الإسلامي، لما لها من أثر شامل في صياغة الشخصية المسلمة على نحو يوازن بين البعد الروحي، والسلوك الأخلاقي، والانضباط الاجتماعي. فالقرآن الكريم إذ يدعو إلى الإحسان، لا يكتفي باستدعاء هذه القيمة في إطار المعاملات الإنسانية، بل يستبطن خلف ذلك مشروعا متكاملا لتزكية النفس، وترقية الضمير، وترسيخ الوعي بالأثر الأخلاقي للفعل التربوي. وقد صاغ المفسرون هذا البعد من خلال قراءتهم التربوية للنصوص، حيث فهم الإحسان على أنه فعل يُراقب من الداخل لا من الخارج، قائم على استبطان مقام "كأنك تراه"، بما يجعل السلوك خاضعا لرقابة ذاتية لا تتطلب حسييا خارجيا دائما.

أول مظهر من مظاهر الأثر التربوي للإحسان يتمثل في كونه أداة لتزكية النفس، أي تطهيرها من أدران الغرور، والكسل، والرياء، وتنميتها على قيم الإخلاص والجد والاجتهاد. فالإحسان في هذا السياق لا يُفهم بوصفه سلوكا خارجيا وحسب، بل يُشكّل حالا باطنيا يُثمر في الخارج أثرا نافعا. وقد أكد الإمام الخميني في كتابه "الأخلاق الإسلامية" أن الإحسان هو أحد تجليات السير والسلوك الروحي، وأن الإنسان لا يبلغ مقام الطمأنينة النفسية إلا إذا اتقن الإحسان مع النفس والخلق والخالق، وهذا لا يتحقق إلا بالتدريب على مراقبة الذات ودوام محاسبتها⁽⁹⁾. وفي ضوء هذا التحليل، يظهر الإحسان كأداة تربية داخلية، تُعَوّل على تنمية الضمير وتفعيل البعد الإيماني كعنصر ضبط فعال.

أما على صعيد بناء الشخصية القيادية، فإن الإحسان يُعيد تعريف السلطة التعليمية ليس باعتبارها موقعا للهيمنة أو مجرد أداء وظيفي، بل بوصفها مسؤولية قيمية. فالقائد التربوي المُحسن لا يكتفي بتحقيق النتائج، بل يسعى لتحقيقها بأعلى درجات الأخلاق، ويجعل من نفسه قدوة في الإتقان، والرحمة، والعدل. فالقيادة التي تنبني على الإحسان تُسهم في إنتاج بيئة تربوية محقزة على التعاون، ومتسامحة مع الخطأ، لكنها صارمة في معايير الجودة والإخلاص. والجدير بالذكر أن القيادة التعليمية المحسنة هي التي ترى في نجاح الآخرين امتدادا لنجاحها، وتعمل على رفع مستوى العاملين معها لا على تقزيمهم. وقد علّق السيد محمد باقر الصدر على

هذا البعد في كتابه "المدرسة الإسلامية" حين بين أن القيادة الناجحة لا تُنتج بالإكراه، بل بالإقناع القيمي، وأن الإحسان يُعدّ من أعظم أدوات التأثير القيادي لأنه يربط القائد بالمبدأ لا بالمصلحة⁽¹⁰⁾.

وفي ما يخص العلاقات التربوية داخل الحقل الجامعي، فإن الإحسان يلعب دورًا تأسيسيًا في إصلاح منظومة التفاعل بين أطراف العملية التعليمية، وخاصة بين الأستاذ والطالب، من جهة، وبين الأستاذ والإدارة، من جهة أخرى. فالإحسان هنا لا يعني التنازل عن المعايير، وإنما يُترجم إلى تفهم للظروف، وصبر على المتعثرين، وعدل في التقييم، وصدق في التواصل. إن العلاقة التربوية القائمة على الإحسان تنتج طلابًا يشعرون بالاحترام والرعاية، وتُنتج أساتذة يتحركون بدافع الضمير لا مجرد الراتب⁽¹¹⁾. كما أن الإحسان بين المعلم والإدارة يعزز مفهوم الزمالة القائمة على الاحترام المتبادل، والعمل الجماعي، ومراعاة الكفاءة، لا المحسوبية. وبهذا يصبح الإحسان عنصرًا توافقيًا يعيد الثقة والفاعلية إلى بنية المؤسسة التعليمية. وقد أشار السيد عبد الله جوادي الأملي إلى هذا الدور في كتابه "الأخلاق في القرآن"، حيث فصل القول في أن الإحسان يُعيد ترتيب العلاقات المؤسسية على أساس الرحمة والمودة، لا التسلط والانفصال، ويجعل من المؤسسات التعليمية منارات قيمية لا مجرد مصانع للمعرفة⁽¹²⁾.

إن خلاصة هذا المطلب تبين أن الإحسان في التربية ليس قيمة إضافية أو تجميلية، بل هو أداة استراتيجية لإنتاج بيئة تعليمية متماسكة من الداخل، تتحرك بالقيم لا بالأوامر فقط، وتبني الإنسان لا المعارف وحدها. وسيوضح في المباحث اللاحقة أن توظيف هذا المفهوم في الحقل الجامعي هو ضرورة إصلاحية، وليس رفاهًا تربويًا.

(10) المدرسة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت، ط1، 1981، ص45

(11) ينظر: ضمان جودة التعليم العربي وبعض التجارب العالمية الناجحة، فضيلة بنت العربي وأمال

بايشي. المؤتمر العربي الدولي لضمان جودة التعليم العالي، الأردن، 2019

(12) الأخلاق في القرآن، السيد عبد الله جوادي الأملي، مركز نشر الثقافة الإسلامية، ط3، 2010،

ج2، ص211

المبحث الثاني: توظيف الإحسان في بناء جودة التعليم الجامعي**المطلب الأول: معايير الإحسان في أداء الأستاذ الجامعي**

إذا كان التعليم الجامعي أحد أعمدة نهضة الأمم وأرقى صور التفاعل بين المعرفة والمجتمع، فإن نجاحه أو تعثره لا يرتبط فقط بالبنية المؤسسية أو المناهج الدراسية، بل يتعلق بدرجة كبيرة بمستوى الإحساس بالقيم عند القائمين عليه، وفي طليعتهم الأستاذ الجامعي. والأستاذ في الفكر الإسلامي ليس ناقلاً للمعرفة فحسب، بل هو نموذج قدوة، وصانع وعي، ومؤثر في تشكيل الإنسان الذي يحمل مشروع الأمة في الحاضر والمستقبل. ومن هنا، فإن معيار الإحسان في أداء الأستاذ الجامعي ينبغي أن لا يفهم على أنه ترف أخلاقي أو جانب شكلي، بل هو شرط جوهري في بناء الجودة الأكاديمية الحقيقية، بما تتضمنه من صدق علمي، وعدالة سلوكية، وابتكار تربوي.⁽¹³⁾

وأول ما يتجلى فيه الإحسان في هذا المقام هو الإخلاص العلمي وجودة الشرح والتحضير. فالإخلاص هو البعد الروحي الذي يربط العمل العلمي بالقصد النبيل، ويجعل تحضير الأستاذ للمادة العلمية جزءاً من رسالته لا مجرد واجب وظيفي. وحين يتحوّل الإعداد للمحاضرات إلى فعل إحسان، يتجاوز الأستاذ مجرد عرض المعلومات إلى بناء تجربة تعليمية متكاملة تراعي حاجات الطلبة، وتربط المعرفة بالسياق، وتوظف الوسائل المناسبة للشرح.⁽¹⁴⁾ ومن هنا فإن الإحسان في التحضير لا يتوقف عند مستوى المادة العلمية، بل يشمل الاستعداد الذهني والنفسي، وتوقع الأسئلة، وتقدير الفروقات الفردية، والتفاعل الحيوي مع الطلبة داخل القاعة الدراسية. وقد تناول المرجع السيد محمد باقر الحكيم هذا البعد في كتابه "الإنسان والمجتمع في الإسلام"، مبيناً أن من علامات الإخلاص العلمي أن يكون الأستاذ مؤتمناً على عقول طلابه، لا يُسلمهم معلومات محفوظة، بل ينمي عندهم ملكة التفكير، ويربطهم بالمصادر الأصلية ويُدرّبهم على النقد العلمي.⁽¹⁵⁾

ثم يتوسع مفهوم الإحسان ليشمل العدل بين الطلبة، والرحمة في التقويم، وهو من أهم معايير جودة الأداء الجامعي. فالعدالة الأكاديمية لا تعني فقط توحيد المعايير، بل تتطلب الحياد التام، والمساواة في الفرص، والشفافية في المعاملة، دون تمييز

(13) ينظر: دور التعليم الإلكتروني في تطوير جودة التعليم الجامعي، نسرين سليم ونوس. المجلة

الاقتصادية، جامعة البعث – سوريا، الطبعة الأولى، 2022

(14) ينظر: التعليم الإلكتروني وانعكاساته على جودة التعليم الجامعي في الدول الآسيوية (اليمن

نموذجاً)، عبد السلام سالم مسعود البوسيفي. المركز الديمقراطي العربي – ليبيا، الطبعة الأولى، 2024

(15) الإنسان والمجتمع في الإسلام، السيد محمد باقر الحكيم، دار الهادي، بيروت، ط1، 2001،

قائم على الانطباعات الشخصية أو الخلفيات الاجتماعية أو القرب النفسي. غير أن الإحسان يتجاوز العدل بمعناه الحرفي ليضيف إليه الرحمة، بوصفها قيمة تصون العدل من الجمود، وتمنع تحوُّله إلى قسوة.⁽¹⁶⁾ فالأستاذ الجامعي المُحسِّن لا يبالغ في العقاب، ولا يضع الامتحانات بقصد الإقصاء، ولا يستخدم التقييم أداة للانتقام أو التحقير، بل يجتهد أن تكون الاختبارات عادلة من جهة، ومربِّية من جهة أخرى، وأن تعكس ما تعلَّمه الطالب لا ما عجز عنه. كما يُراعي في تصحيحه مشاعر الطلبة، فيُشجع المجتهدين، ويحفِّز المتعثِّرين، ويستخدم كلماته لا للردع فقط بل للتحفيز والإصلاح. وقد أكد السيد عبد الله شبر في كتابه "حقائق التأويل" أن من تمام الإيمان بالعدالة في موقع التعليم أن يحاسب الإنسان نفسه قبل أن يحاسب غيره، وأن يوازن بين الحزم واللين، وبين الحقوق والمروءة، وهو ما يجعل التقييم أداة للإصلاح لا للانكسار.⁽¹⁷⁾

ويبلغ الإحسان ذروته في الإتقان في البحث، والابتكار في التدريس، وهما جوهر العملية التعليمية الحديثة. فالبحث الجامعي ليس غاية في ذاته، وإنما وسيلة لإنتاج المعرفة، وتقديم حلول للمجتمع، ورفع المستوى العلمي للمؤسسة التعليمية. وإذا خلا البحث من الإحسان، صار مجرد استنساخ معرفي، يفتقد الجدة، والعمق، والمصداقية. أما الأستاذ المُحسِّن، فهو الذي يتخير مواضيع بحثه بدافع خدمة الإنسان، ويراعي أخلاقيات النشر، ويدقق في الإحالة والاقتباس، ويربط البحث بواقعه لا بخيال المجلات. وقد نبه السيد محمد تقي المدرسي في كتابه "المنهج التربوي في الإسلام" إلى أن الإتقان في البحث هو من علامات الفقه في الدين، وأن على العالم أن يُراعي في كل مرحلة من مراحل بحثه صدق النية، وتحري الحقيقة، وتجنب الادِّعاء العلمي، وأن يوظف علمه لخدمة المجتمع، لا لتحقيق الشهرة أو الواجهة.⁽¹⁸⁾ أما الابتكار في التدريس، فهو البعد التفاعلي الذي يميز الأستاذ المُحسِّن عن غيره، إذ لا يكفي باستخدام الطرق التقليدية، بل يبحث عن وسائل جديدة لإيصال المفاهيم، ويُعيد صياغة المعلومة بما يتناسب مع أذواق الجيل ومستوى استيعابه، ويحرص على كسر الجمود داخل القاعات، وتفعيل الجانب

(16) ينظر: جودة التعليم في الجامعات السعودية وأثر استخدام التعليم الإلكتروني، بحث منشور، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2024 .

(17) حقائق التأويل، السيد عبد الله شبر، دار المفيد، بيروت، ط2، 1996، ص212

(18) المنهج التربوي في الإسلام، السيد محمد تقي المدرسي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1،

2005، ص136

العملي والأنشطة الصفية والافتراضية، بما يواكب التحول الرقمي والتقني المعاصر. (19)

في ضوء ما تقدم، يمكن القول إن الإحسان في أداء الأستاذ الجامعي ليس قيمة نظرية، بل هو بنية معيارية يمكن استخدامها في تقويم الأداء الأكاديمي على مستويات متعددة. فكلما اقترب الأستاذ من الإحسان في إخلاصه، وعدله، وجودة بحثه وتدرسه، كلما اقترب من جوهر الرسالة التعليمية الإسلامية التي تقوم على الجمع بين العلم والتركيز. وهو ما يدفعنا في المطلب التالي إلى التفكير في بناء رؤية قرآنية متكاملة لجودة العمل الأكاديمي، تستمد من الإحسان فلسفتها ومبادئها.

المطلب الثاني: نحو رؤية قرآنية لتجويد العمل الأكاديمي

تمثل الرؤية القرآنية للإحسان إطاراً مفاهيمياً عميقاً يمكن من خلاله إعادة صياغة منظومة التعليم الجامعي من الداخل، ليس فقط على مستوى القيم الأخلاقية، بل في صميم البنى التنظيمية، والسياسات المؤسسية، ومقاييس الأداء، والمخرجات الأكاديمية. إن الدعوة القرآنية إلى الإحسان لا تقف عند حدود التوجيه الأخلاقي المجرد، بل تمتد لتشمل مجمل أنشطة الإنسان، بما فيها ميدان العلم، والتخطيط، والتنمية، والتفاعل الاجتماعي، والإصلاح المؤسسي. وفي ضوء ذلك، يمكن للإحسان أن يشكل فلسفة متكاملة لتجويد الأداء الجامعي، بشرط أن يفهم فهماً ديناميكياً يتجاوز التفسير السلوكي المبسط، ليدخل في صلب الوظيفة المؤسسية للتعليم الجامعي المعاصر. (20)

أول مظهر لهذه الرؤية يتمثل في الإحسان في التخطيط والتطوير المهني، حيث لا يكون التخطيط مجرد استجابة إدارية لتحديات خارجية، بل تعبيراً عن رؤية داخلية صادقة قوامها الإخلاص والإتقان. إن الأستاذ الجامعي المحسن لا ينتظر الترقية أو الحوافز ليطور نفسه، بل يرى في مهنته رسالة تتطلب منه التعلم المستمر، والتأمل في تجربته، واستيعاب التطورات التربوية الحديثة، والانفتاح على طرائق تعليمية جديدة. فالتطوير المهني، في المنظور الإحساني، هو التزام ذاتي لا تكليف خارجي، وهو يربط بين الإيمان بالتكليف الشرعي للإتقان، وبين الوعي المعاصر بأخلاقيات

(19) ينظر: جودة التعليم الجامعي: مؤشرات الريادة الاستراتيجية ودورها، إيمان شوقي حسن، جامعة

بنها – مصر، الطبعة الأولى، 2022

(20) ينظر: مدخل: دراسات في التعليم الجامعي، بحث منشور، مصر، الطبعة الأولى، 2018 .

المهنة⁽²¹⁾ وقد عبّر السيد فضل الله عن هذا المعنى في كتابه "خطاب التغيير"، حين أكد أن التقدم الحقيقي لا يكون بتكرار النماذج المستوردة، بل بتفعيل المعاني القرآنية في سلوك الأفراد، وإدخال البعد القيمي في كل وظيفة من وظائفهم، وعلى رأسها العلم والتعليم، مشدداً على أن الإحسان هو روح التخطيط الناجح، لأنه يربط الوسائل بالغايات، والغايات بالنية⁽²²⁾.

وثاني أبعاد هذه الرؤية يتمثل في الإحسان في التفاعل مع بيئة الجامعة والمجتمع، وهو بعدٌ مهمٌ في كثير من المقاربات الإدارية الحديثة التي تختزل العملية الأكاديمية في داخل الحرم الجامعي، دون النظر إلى الامتدادات المجتمعية والثقافية. غير أن الإحسان، بما هو وعيٌ بالمسؤولية، وتجاوزٌ للنطاق الشكلي للعمل، يقتضي أن يكون الأستاذ الجامعي حاضراً في مجتمعه، فاعلاً في بيئته، متفاعلاً مع قضايا أمته⁽²³⁾ ولا يقتصر التفاعل على النشاطات الخطابية أو المناسبات الموسمية، بل يشمل الإسهام في إنتاج حلول لمشكلات المجتمع، والمشاركة في المبادرات التوعوية، والتقريب بين المعرفة الأكاديمية والاحتياجات الواقعية. وهنا يتحول التعليم الجامعي من وظيفة بيروقراطية إلى رسالة اجتماعية ذات أبعاد إنسانية. وقد أوضح السيد محمد رضا الشيرازي في محاضراته حول "وظيفة العالم في زمن التحديات"، أن العلم الذي لا يلامس واقع الناس هو علم ناقص، وأن الإحسان يُلزم الأستاذ بالمشاركة في صناعة الوعي الجماعي، ولو خارج جدران القاعة الدراسية، مشيراً إلى أن العالم المحسن لا يعيش في برج عاجي، بل يُنزل علمه إلى السوق والميدان والمدرسة والبيت⁽²⁴⁾.

أما البعد الثالث والأكثر أهمية في هذه الرؤية، فهو اقتراح نموذج "الإحسان المؤسسي" كأداة لتقويم الأداء الجامعي. وهذا النموذج يفترض تحويل الإحسان من قيمة فردية إلى معيار مؤسسي يُقاس به الأداء، وتُضبط به السياسات، وتُبنى على أساسه ثقافة المؤسسة الجامعية. ويتضمن هذا النموذج أربعة أبعاد مترابطة: الإحسان في النية، والإحسان في الوسيلة، والإحسان في الهدف، والإحسان في

(21) ينظر: دراسة واقع جودة العملية التعليمية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس – جامعة

طرطوس، نسرين سليم ونوس، جامعة طرطوس – سوريا، الطبعة الأولى، 2022

(22) خطاب التغيير، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط2، 2006، ص157

(23) ينظر: تدني مستوى التعليم العالي العربي وأثره في مستقبل الأمة، دراسة، الأكاديمية العربية

الدولية – سوريا، الطبعة الأولى، 2021

(24) وظيفة العالم، السيد محمد رضا الشيرازي، سلسلة دروس أخلاقية، مؤسسة الإمام الشيرازي،

كربلاء، 2010، ص34

الأثر. ويُراد بالإحسان في النية: الإخلاص في العمل العلمي والإداري.⁽²⁵⁾ أما الإحسان في الوسيلة: فاختيار أفضل الطرق التربوية والتقنية لتحقيق الغايات. والإحسان في الهدف: أن يكون غرض التعليم هو بناء الإنسان لا مجرد تكديس المعرفة. وأخيرًا، الإحسان في الأثر: أن تكون نتائج العمل الجامعي محسوسة في رقي المجتمع وتقدمه. وهذا النموذج لا يتعارض مع معايير الجودة الحديثة، بل يتكامل معها ويمنحها بُعدًا روحيًا وأخلاقيًا يغذي الاستدامة والتماسك. وقد أشار السيد مصطفى جمال الدين في مقالاته النقدية إلى أهمية وجود "ميزان داخلي للضمير المؤسسي" في كل مؤسسة علمية، وهذا الميزان لا يتشكل إلا بالإحسان، الذي يمنح القوانين روحًا، ويمنع المؤسسات من التحول إلى أدوات روتينية جامدة⁽²⁶⁾.

وخلاصة القول، إن الرؤية القرآنية لتجويد التعليم الجامعي لا تبدأ من الخارج، بل من الداخل، من قلب الأستاذ وإرادته وسلوكه، ثم تمتد لتؤسس عقلاً مؤسسيًا محكومًا بقيم الإحسان، فتنتج ثقافة مهنية متجددة، ومجتمعًا جامعيًا حيًا متماسكًا، وتحول الجامعة من صرح أكاديمي إلى حاضنة قيمية تُخرج العقول والضمائر معًا. وهذا ما يدعو إليه القرآن حين يجعل الإحسان غاية دائمة: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾⁽²⁷⁾.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يمكن القول إن "الإحسان" في القرآن الكريم ليس مجرد توجيه أخلاقي، بل هو مشروع إصلاح شامل يطال النفس، والسلوك، والمؤسسة. وقد برهنت الدراسة على أن الإحسان يصلح أن يكون معيارًا قيميًا ومعرفيًا لتجويد التعليم الجامعي، سواء على مستوى الأداء الفردي للأستاذ، أو على مستوى البنية المؤسسية. وبذلك، فإن الرؤية القرآنية تُسهم في تجاوز النماذج التقنية الجافة للجودة، لتُقدم بديلاً حيًا، يدمج بين الإتقان والنية، وبين العلم والعمل، وبين القيمة والنتيجة.

وقد أجابت الدراسة عن أسئلتها الأساسية، بإثبات أن الإحسان يمكن أن يُترجم إلى معايير أداء فعلية، كما يمكن إدماجه ضمن أدوات التقويم الجامعي، وصياغة

(25) ينظر: التعليم الإلكتروني ودوره في تطوير جودة التعليم الجامعي، مجلة العلوم التربوية – مصر، الطبعة الأولى، 2023

(26) دراسات في الأدب والاجتماع، السيد مصطفى جمال الدين، دار البيان العربي، بيروت، 1992، ص178

(27) سورة القصص: 77

السياسات الأكاديمية، بما يعزز البعد الأخلاقي في العملية التربوية. كما تحقق الهدف من البحث في تقديم تصور قرآني تطبيقي، غير تقليدي، يُعيد الاعتبار للبعد القيمي في التعليم الجامعي.

أظهر الاستقراء النصي أن "الإحسان" ورد في القرآن الكريم ضمن سياقات متعددة تشمل: العقيدة، السلوك الفردي، المعاملة الاجتماعية، ومجال العمل، مما يدل على شموليته كمفهوم قيمي.

يتفرّع الإحسان في القرآن إلى ثلاثة أنواع رئيسية: الإحسان إلى النفس، إلى الآخرين، وفي العمل، وكلها تنطوي على بعد تربوي واضح.

الإحسان في التصور القرآني يفوق العدل والإتقان، من حيث كونه فضيلة مركبة تشمل إخلاص النية، وتجاوز حدود الواجب، وربط السلوك بالمراقبة الذاتية.

يشكّل الإحسان قاعدة معيارية لتقويم أداء الأستاذ الجامعي، خاصة في مجالات الإخلاص العلمي، العدالة الأكاديمية، والابتكار التربوي.

يمكن الإحسان من بناء رؤية قرآنية بديلة لجودة التعليم الجامعي، قائمة على التطوير الذاتي، والتفاعل المجتمعي، ومأسسة القيم ضمن بنية الأداء الجامعي.

أظهرت النتائج أن الإحسان ليس مجرد قيمة أخلاقية، بل يتجلى كمفهوم وظيفي مؤسسي يتصل ببنية العمل الجامعي وتفاصيله الدقيقة. وقد توافقت هذه النتائج مع

ما أشار إليه الطباطبائي في الميزان، حين رأى أن الإحسان هو "الوجه الكامل للعدل، يرفعه من مستوى الأداء إلى مستوى التأثير". كما دعمت النتائج ضرورة

نقل المفاهيم القرآنية إلى مجال التطبيق المؤسسي.

على صعيد المقارنة مع الأدبيات التربوية الحديثة، فإن ما يسمى بـ "القيادة

(في التربية، يشبه في أهدافه Transformational Leadership التحويلية")

ومفاهيمه ما ورد عن الإحسان في الأداء التربوي، إلا أن الرؤية القرآنية تتفوق من

حيث إدماج البعد القيمي العقدي، وربط الممارسة بنية العبادة، وهو ما لا توفره

النماذج الغربية.

التوصيات

دعوة إدارات الجامعات إلى إدماج مفاهيم الإحسان ضمن مدونات السلوك المهني للأستاذ الجامعي.

تطوير برامج تدريبية تحت عنوان: "الإحسان المهني: نحو أستاذ جامع قدوة".

اعتماد نموذج "الإحسان المؤسسي" في تقويم الأقسام العلمية، وربطه بمؤشرات الجودة.

إجراء دراسات مقارنة بين مفهوم "الإحسان" القرآني ومفاهيم الجودة المعاصرة (ISO) و (Total Quality Management) كـ ()
ودراسة ميدانية لقياس أثر تفعيل الإحسان الأكاديمي في أداء أعضاء هيئة التدريس داخل الجامعات العراقية أو العربية.

المصادر والمراجع

بعد القرآن العظيم

1. الأخلاق في القرآن، السيد عبد الله جوادى الأملي، مركز نشر الثقافة الإسلامية، إيران، الطبعة الثالثة، 2010.
2. الإنسان والمجتمع في الإسلام، السيد محمد باقر الحكيم، دار الهادي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2001.
3. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 1984.
4. تدني مستوى التعليم العالي العربي وأثره في مستقبل الأمة، دراسة، الأكاديمية العربية الدولية – سوريا، الطبعة الأولى، 2021
5. التعليم الإلكتروني وانعكاساته على جودة التعليم الجامعي في الدول الآسيوية (اليمن نموذجاً)، عبد السلام سالم مسعود البوسيفي. المركز الديمقراطي العربي – ليبيا، الطبعة الأولى، 2024
6. التعليم الإلكتروني ودوره في تطوير جودة التعليم الجامعي، مجلة العلوم التربوية – مصر، الطبعة الأولى، 2023
7. جودة التعليم الجامعي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في جامعة فزان، مجلة الدراسات الجامعية – ليبيا، الطبعة الأولى، 2023
8. جودة التعليم الجامعي: مؤشرات الريادة الاستراتيجية ودورها، إيمان شوقي حسن، جامعة بنها – مصر، الطبعة الأولى، 2022
9. جودة التعليم في الجامعات السعودية وأثر استخدام التعليم الإلكتروني، بحث منشور، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2024 .
10. حقائق التأويل في متشابه التنزيل، السيد عبد الله شبر، دار المفيد، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 1996.
11. الخطاب التغييري: مشروع بناء الذات والمجتمع، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 2006.

12. دراسات في الأدب والاجتماع، السيد مصطفى جمال الدين، دار البيان العربي، بيروت – لبنان، 1992.
13. دراسة واقع جودة العملية التعليمية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس – جامعة طرطوس، نسرين سليم ونوس، جامعة طرطوس – سوريا، الطبعة الأولى، 2022
14. دور التعليم الإلكتروني في تطوير جودة التعليم الجامعي، نسرين سليم ونوس. المجلة الاقتصادية، جامعة البعث – سوريا، الطبعة الأولى، 2022
15. ضمان جودة التعليم العربي وبعض التجارب العالمية الناجحة، فضيلة بنت العربي وأمال بايشي. المؤتمر العربي الدولي لضمان جودة التعليم العالي، الأردن، 2019
16. مدارس في المنهج التربوي في الإسلام، السيد محمد تقي المدرسي، دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2005.
17. مدخل: دراسات في التعليم الجامعي، بحث منشور، مصر، الطبعة الأولى، 2018 .
18. المدرسة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1981.
19. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، 2005.
20. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1991.
21. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، مؤسسة المرتضى، إيران، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
22. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، بدون رقم طبعة، بدون سنة نشر (لكن اعتمدت النسخة الشائعة: ج12، ص351).
23. وظيفة العالم في زمن التحديات، السيد محمد رضا الشيرازي، سلسلة دروس أخلاقية، مؤسسة الإمام الشيرازي، كربلاء – العراق، 2010.
24. Harvey, L. & Williams, J. (2010). Fifteen Years of Quality in Higher Education. Quality in Higher Education, Taylor & Francis, UK.
25. Harvey, L. & Knight, P. (1996). Transforming Higher Education: Quality, Creativity and the Market. Routledge, London. (cited in bibliometric analyses)
26. Puzziferro, M., & Shelton, K. (2015). Quality Assurance in Higher Education: A Review of Literature. ERIC Reports, USA.
27. Research Online ND. (2022). A systematic review of quality of student experience in higher education. University of Notre Dame Australia.
28. Onderwijsraad. (2015). Quality in Higher Education: A Literature Review. Onderwijsraad, The Netherlands.